المجلد
الأول

العدد
الحادي عشر

أبولو

مجلة فنية لخدمة الشعر العربي

لسان حال جمعية ابولو

عدد خاص

بذكرى المغفور له

محمد حافظ ابراهيم بك

١٨٧١ — ١٩٣٢ م.

مطبعة التعاون

فهرس

		صفحة
كلمة المحرر		١٢٥٩
المراثى والدراسات		
حافظ ابراهيم فى الميزان	بقلم أحمد محرم	١٢٦٥
مرثية مطران لحافظ	نظم خليل مطران	١٢٩٨
حافظ فى رأى مطران	بقلم أحمد الشايب	١٣٠٦
حافظ ابراهيم — ناحية من أثره فى الأدب	» عبد العزيز البشرى	١٣١١
حافظ ابراهيم بين ظرفه ومجونه	» حسن الحطيم	١٣١٥
حافظ واللغة الفصيحة	» الدكتور زكى مبارك	١٣١٩
صفحة مجهولة من حياة حافظ	» عبد الوهاب النجار	١٣٢٢
مثال من خط حافظ		١٣٢٥
حافظ لسان عصره	» ابراهيم عبد القادر المازنى	١٣٢٧
موكب الذكريات	نظم مختار الوكيل	١٣٢٨
حافظ كما عرفته	بقلم داوود بركات	١٣٣٥
» » »	» ابراهيم دسوقى أباظة	١٣٣٩
حافظ الرجل وحافظ الشاعر	بقلم نظمى خليل	١٣٤٦
حافظ فنان كما يجب	» المهدى مصطفى	١٣٥٢
مختارات من شعر حافظ		١٣٥٥
ناحية فى حافظ	» أحمد أنور الجندى	١٣٦٢
مضى العام والذكرى . . .	نظم عامر محمد بحيرى	١٣٦٤
حافظ فى كفتى البؤس والمجانة	بقلم طاهر محمد أبو فاشا	١٣٦٦
بداهة حافظ	» محمد سعيد السحراوى	١٣٧٠
حافظ الخالد	نظم مؤيد ابراهيم إيرانى	١٣٧٢
فى سماء الفن	» المهدى مصطفى	١٣٧٣
تشكرك سورية يا حافظ !	بقلم ميشيل سليم كميد	١٣٧٣
المديح والشكوى والرثاء فى شعر حافظ	» بشرى السيد أمين	١٣٧٧
سيرة حافظ	» أحمد محمد عيش	١٣٨٢
الشاعر البائس	» طلبة محمد عبده	١٣٩٤
المرأة فى شعر حافظ	» الآنسة زينب سليم	١٤٢٤

شاعر الوطنية المصرية

محمد حافظ ابراهيم بك

(من ريشة الفنان المصرى محمد محسن بدوى)

فى الحادى والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م . ودّع شاعرُ مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم أنفاسَ الحياة الدنيا فذهب بذهابه أعلى صوتٍ وطنى عرفته مصر من فوق منبر الشعر .

وقد أصدرت زميلتنا (السياسة) فى ٢ سبتمبر من العام الماضى عدداً خاصاً به كما عُنيت الصحفُ والمجلاتُ والجمعياتُ الأدبية فى العالم العربى بدراسته وتأبينه أسابيع متوالية ، الى أن فُجِعَ العالم العربى بنعى شاعر العربية الأشهر أحمد شوقى بك فى الرابع عشر من سبتمبر الماضى فباتت لجميعةُ العربية مزدوجةً بوفاة علمين من أشهر أعلام الشعر العربىّ فى عصره الحديث ، واهتمت الصحافةُ العربيةُ بأداء واجبها الادبى نحو ذكراهما . وقد أصدرت هذه المجلةُ عددها الخاص بذكرى شوقى فى ديسمبر الفائت ورأت من أقدس الواجبات عليها إصدارهذا العدد الخاص بذكرى حافظ لمرور سنة على وفاته .

ونحن لا نحبّ التكرارَ كما لا نُعنى بما عُنى غيرنا بتناوله من الدراسات السابقة فجعلنا كلَّ بُحوث هذا العدد جديدة خاصةً بهذه المجلة ، وبذلنا جهدنا فى الاختيار وتخلّينا عن مألوف الرثاء شعراً ونثراً قانعين بالجديد المفيد أو بالنقد الجدّى الممتع .

وكيفما كان الحكم الفنّى على شعر حافظ فلا يمكن لأية جمعية شعرية تحترم نفسها الاّ أن تحفل بذكراه — ذلك لأن حافظ يمثل حلقةً قويةً من حلقات الاتصال والتقدم فى تاريخ الشعر المصرى بل فى تاريخ الشعر العربى ، كما أنهُ كان اللسان الفصيح لآمال مصر وآلامها فى زمن تفشى فيه العىّ والجبن بل البكم بين الشعراء ، وحسبك من شاعرٍ أن يكون لسان أمته المبين فى مثل تلك الظروف ، وليس من الانصاف أن تكتفى بوزن شاعر وزناً مطلقاً ولا تزنه وزناً نسبياً . ليس من الانصاف مثلاً أن تنسى ظهور البارودى فى زمن تفشت فيه الأمية والروحُ العاميةُ والضعفُ اللغوىُّ ، وضاعت ملكة البيان الشعرى ، فظهر ذلك

الشاعر المتفوّق التقليدى ليعيد للأدب الشعرى مجده القديم وليتتلمذ عليه حافظ وأنداده . واذا كنا نحن الشعراء المحدثين لا يرضينا روحُ التقليد المضيع للشخصية الفنية ، فهيهات أن ننسى فضلَ أعلام المحافظين أمثال البارودى وشوقى وحافظ فى استرجاع الثقة الأدبية لاستئناف سير القافلة بعد وقوفها. على هذا الأساس نكبر مجهودات الاعلام السابقين من شعرائنا وإن أصبحت فى ذمة التاريخ ومآلها فى الغالب أن لا تكون لها أكثر من صفة أكاديمية لأثر من الآثار الأدبية التاريخية.

كان حافظ فيلسوفاً اجتماعياً وسياسياً بسليقته ، وكان خبيراً بالرجال بعيد النظ ، ولذلك كان موفّقاً فى أكثر من موقف كشاعر زعيم ، ولكن الطبيعة هيأته ليكون فى الاكثر ترجماناً لأمته ، وقد أحسن التعبير عنها أيّما احسانٍ ، وكان جريئاً كلَّ الجراءة فى تعبيره كلما أُتيح له ذلك . وبعد هذا كان حافظ شاعرَ العروبة ، وكان لإخلاصه أثرٌ بعيدٌ فى احياء روح التآخى والتعاون بين أبنائها ، وعلى الأخص بين المصريين والسوريين .

وقد عِيبَ على معظم الشعراء أنهم ينزعون إلى القديم وينظرون دائماً إلى الى الخلف ، ولكن حافظ برغم المحافظة التى قيد نفسه بها مضطراً ومختاراً كان فى طليعة من ندّدوا بذلك وهو القائل مخاطباً « الشعر » :

ضِعتَ بين النُّهَى وبين الخيالِ ... يا حكيمَ النفوسِ يا ابنَ المعالى
ضِعتَ فى الشرقِ بين قوم هُجودٍ ... لم يُفيقوا وأمةٍ مِكسالِ
قد أذالوكَ بين أُنسٍ وكأسٍ ... وغرامٍ بظبيةٍ أو غزالِ
عِشتَ ما بينهم مُذ الآنَ مُضاعاً ... وكذا كنتَ فى العُصُورِ الخوالى
آنَ يا شعرُ أن نفكَّ قُيُوداً ... قيَّدتنا بها دعاةُ المُحالِ
فارفعوا هذه الكمائمَ عنّا ... ودعونا نشمّ ريحَ الشمال !

والقائل أيضاً :

ملأنا طباقَ الأرض وجداً ولوعةً ... بهندٍ ودعدٍ والربابِ وبوزعِ
وملّتْ بناتُ الشعرِ منّا مَواقفاً ... بسقطِ اللوى والرقمتين ولعلعِ
تغيرتْ الدنيا وقد كان أهلُها ... يرون مُتونَ العيس ألينَ مضجعِ

وكان بريدُ العلمِ عيراً وأينقاً متى يَعيها الايجافُ في البيد تظلعِ
فأصبح لا يرضى البُخارَ مطيّةً ولا السلكَ في تيارهِ المتدفّعِ
ونحن كما غنّى الأوائلُ لم نَزَلْ نغنّي بأرماحٍ وبيضٍ وأدرعِ
عرفنا مَدى الشيءِ القديم فهل مدًى لشيءٍ جديدٍ حاضرِ النفعِ ممتعِ ؟

وشعرُه مرآةٌ صادقةٌ لمجتمعه، ونهزةٌ تحفزهم الى الأمام، ونُورٌ وجّهه الى طريق المستقبل المأمون :

قصائدٌ هي للآدابِ مَفخرةٌ سارتْ مَسيرَ الهُدَى في كل مُضْطَرَبِ
وما يزال دويٌّ مِنْ وقائعها في مِسمعِ الدهرِ للاجلالِ والرَّهَبِ
في كلِّ بيتٍ شُواظُ النارِ مُزْعِجَةً للغاصبينَ وهزّاتُ القَنا السُّلُبِ
وكلُّ غضبةِ صِدقٍ منه بالغةٍ فصلُ الخطابِ وآياتٌ من الخُطَبِ
مُرَدَّداتٍ بإيمانٍ كأنَّ بها مَجامعَ الوَحْيِ عن مَاضٍ من الحِقَبِ !

وقد كان حافظ في كلّ شعره يعمل للتقدم ، فكان له أثره في النهضة الحاضرة وحتى في أمداحه « للدولة العلية » لم يكن مدفوعاً الى ذلك بحبّ الاستبداد وهو الذي كرهه منذ نشأته ، ولا بحبّ الرفد والجاه فقد سُدَّتْ الأبوابُ في وجهه ، ولا بمراعاة الاعتبارات الرسمية إذْ لم يكن بالموظف حينذاك ولم يكن له شأن بالقصر، ولكنه كان مدفوعاً بروح السياسي الذي يرى نفعَ أمته مرتبطاً بعظمة تركيا الاسلامية ، وكذلك كانت وجهةُ نظر المغفور له مصطفى كامل وسواه من الساسة المصريين في ذلك العهد الى أن ظهر أحمد لطفي السيد بك وحزب الأمة بالسياسة المصرية البحتة . فلئن جارى حافظ بيئته فما كان ذلك الاّ في الاحساس العام ولم تكن مجاراة الضرير ، ولئن جارى المتقدمين أحايين في أساليبه فذلك من تأثير محفوظه الكثير ومن تأثير تعاليم أستاذه البارودى الذى أراد أولاً أن يستعيد أزهى عصور الشعر العربي .

ومما عِيبَ على معظم شعراء العربية حتى المعاصرين منهم عنايتهم بالموسيقى اللفظية لا أكثر ولا أقلّ ، ولكن حافظاً ضمّن شعره الكثير من علل المجتمع وما رآه من العلاج لها بروح المرشد الأمين حتى لُقّب بالشاعر الاجتماعي ، فلا نكون منصفين إذا اعتبرنا ذلك النقدَ في غير تحديدٍ منطبقاً عليه . واذا طبقناه

عليه قائما ذلك لان حافظا كانت له طبيعة شعرية عرفها جلساؤه فى مرتجلاته البديعة ولكنه أفسدها بمطاوعته المتحذلقين وبحرصه على ارضاء القدامى من الأزهريين وغير الأزهريين (على نحو ما فعل المرحوم شوقى بك فى أحايين) فكانت النتيجة أنه صار غالباً الشاعر النحّات المتعمّل بدل أن يكون الشاعر الحرّ المطبوع ، وحبَسَ فى نفسه أو ضاعَ فى مجالسه وفى مَباذله خيرُ شعره العاطفىّ الوجدانىّ لأن التقاليد كما قدمنا كانت تأبى عليه تدوين الشعر المرتجل المطبوع ، وطالبُ الشهرة مضطر عادة إلى مراعاة التقاليد ، وما كان لحافظ كما لم يكن لشوقى إغفال هذا الاعتبار .

ومعرفتنا بحافظ أكثر من ربع قرن أقنعتنا بصحة فطرته الشاعرة التى زكتْ فى بيئة الامام محمد عبده بقدر ما أصبحت أسيرةً لتقاليد الصناعة واللغة . فكان حافظ إذا أفلتَ من ذلك الأسر يجىء لنا مرة بالممتاز المعجب ، وأخرى بالمبتذل الذى لا يعلو فوق مستوى مقالة صحفية منظومة ، وما ذلك الاَّ لأنه تارةً يعبّر عن نفسه أصدقَ تعبيرأو يُدْفَع دَفعاً باحساس أمّتهِ إلى ذلك من حيث يدرى أو لا يدرى، ومرة أُخرى يشعر بمنزلته من الشعب فينظم بعقله الواعى وحده لارضاء الجمهور فيبتعد بذلك عن الشعر الفنى ولا يُنصف سمعته الأدبية .

لم يكن حافظ إذن بالرجل الرجعىّ وإن كان محافظاً فى حدودٍ ، ولئن كان ممن نظروا إلى الشعر كلون من ألوان الغناء وممن آثروا اللفظ على المعنى متناسياً أن الشعر روحٌ وتَصوّفٌ أى اندماج كونى فى الجمال والحياة قبل كل اعتبار آخر ، فقد جاءَ شعرُه صوناً للنهضة الوطنية وأحياناً دليلاً لها ، فلا يصحّ إذن أن يقال عن شعر حافظ إنه صيغةٌ أخرى من السجع ومن فنون الترف والترهّل الذهنى ، وان المقصود إليه من شعره مجرد الايقاع واللهو اللفظى الذى يخرجه من دائرة الشعر الرفيع إلى دائرة الموسيقى المألوفة كما هو نظم الكثيرين . لقد جمع حافظ بين المتناقضات فرضخ للبيئة اللغوية المحافظة التى اتصل بها فى كثير وثار عليها أحياناً ، فكان يذهب من النقيض إلى النّقيض ، ولو أنه اكتفى بالتضلع اللغوى ثم أطلق نفسه على سجيتها لجاءت حريةُ تعبيره منسجمةً منظّمةً لا اضطراب فيها ولا تبذّل ، وهو الاضطراب والتبذل اللذان يتعرّض لهما السجينُ الذى يظفر بحريته ثائراً بعد حبس طويل ولكن ليعود إلى ذلك الحبس ثانية ، فهى حرية غير مأمونة وتكييفها ونتائجها على مثالها .

إن حافظاً شاعرٌ حاضر البديهة سريع التأثر (impressionist) ولكنه أفسد

طبيعته بالصناعة بدل إطلاقها على سجيتها ، وفلول المدرسة القديمة التى أساءت اليه وإلى الشعر العربى بتوجيهه الى ناحية النظم الذى لا ينسجم وطبيعته ما تزال تحاول الضغط على المدرسة الحديثة لتنهج ذلك النهجَ العقيم فى حين أنّ لكل شاعر فطرته وطريقته التى لن يجنى خيراً ما بتجاهلها ومعارضتها . ونحن لا ندرى ما ذا استفاد الشعرُ العصريُّ من اقلال حافظ الصناعى وهو المكثر بطبيعته ، أو من مقاومة فطرته السمحة السهلة . ويقيننا أنه لو لا ذلك لكان انتاج حافظ لا يقل عن انتاج شوقى ، ولكان شعره مطبوعاً بطابع مصرى جميل ، ولجاء جامعاً للكثير من صُوَرِ الحياة المصرية عاطفةً ووصفاً ، تاريخاً ووعظاً ، ولتنوعت مظاهرُه ، وربما كان قد اكتسح المسرح المصرى أيضاً .

ولا يسع المؤرخ الأدبى الذى يترجم لحافظ أن يغفل المنافسةَ الشاذَّة التى كانت بين حافظ وشوقى ، ثم سَرَتْ عدواها إلى شعراء آخرين ، ثم تشكّلَت بصورة حرب بين المحافظين والمجدّدين من الشعراء . ولم يكن مَبْعَثُ كلّ ذلك سوى التهافت على اكتساب الجمهور فى حين أن الجمهور لا يَعْدُو الموجَ الصاعدَ الهابط الذى لا يستقرّ ولا يُؤْمَن جانبهُ على حَدّ تعبير أستاذنا مطران ، وقد كانت لمطران مواقف عديدة محمودة للتوفيق مابين المرحومين شوقى وحافظ . فالتهافت على نيل رضاء الجمهور أو النزول بالشعر إلى مستوى الجمهور كان ضرراً بليغاً للشعر ولأعلام الشعراء الراحلين أنفسهم : فقد أنقصَ منزلة الشعر الفنية ، ودعا الى حروب شخصية عجيبة ، كما خلق جوّاً مدهشاً من الغرور لا نزال نرى تأثيره فى تهافت الشعراء والكتاب على أماكن الصدارة من هذه المجلة وغيرها مع أن صفحاتها فى منزلةٍ واحدةٍ ، ومن غرور المبتدئين الذين يتعالون عن كلمة تنقيحٍ أو ارشادٍ أو تهذيبٍ من أساتذتهم الشيوخ ويتهافتون على ألقاب المديح السخيف . وهذه روحٌ مريضةٌ قاومناها كلّ المقاومة وإن رضخت لها بعضُ المجلات الادبية مضطرة لأسبابها الخاصة . نعم لا يجوز التّغاضى عن هذه الحقيقة بل يجب أن يستفيد من دروسها المصلحون من ابناء هذا الجيل الذين يهمّهم التسامى بالشعر العربى وبمنزلة شعرائه .

* * *

وبعد، فنحن نُهدى الى روح حافظ الشاعرة الوطنية الحبيبة المبجّلة هذا العدد التذكارى من (أبولو) وسِمَتُه الصراحة التى تعشّقها حافظ منا ومن سوانا طول

حياته. وقد وقع اختيارنا على صورة فنية للذكرى لم يسبق نشرها وهي للأديب الفنّان المصرى الشهير شعبان زكى وهى تمثل دار الإمام الشيخ محمد عبدة فى حالتها الراهنة — تلك الدار العزيزة التى قال عنها حافظ :

فيا منزلاً فى عين شمس أظلّنى وأرغَمَ حُسّادي وغمّ عُداتى

والتى كثيراً ما كانت موئله ومهبط وحيه . رأينا أن ننشرها فى هذا العدد التذكارى لأنها ألصق بحياة حافظ من كل ماعداها من المعالم المصرية ، ولأنها مظهر الذكرى الحزينة الذى لا يجب أن يخفى عن الشعب المصرى . وقد تأثر الرسّامُ الفنّان بمظهر سقف الساقية المائل فتخيله كبيت العنكبوت المكبّر رمزاً للاغفال ودليلاً على مبلغ اهمال الدولة والشعب لآثار العظماء ، وشاء الرسّامُ أن يصوّر الدار تحت تأثير غروب الشمس فى لحظة أبدت الفارق الشنيع بين حاضرٍ عافٍ وماضٍ كانت فيه الدارُ مَطلَعَ الاشراق الثقافى والدينى فى مصر .

إن اسم حافظ لن يُنسَى فى تاريخ الشعر العربى ، وأما الشعر العربى ذاته فلن يصدعه ممات حافظ ولا غير حافظ كما يُوهم النّادبون ، فانّ موتَ العظيم يُلهب تلاميذه وأنداده بالشعور بالمسئولية والاندفاع الى الانجاب السامى . والواقع انّ الشعر العربى يخطو الآن خطوات فسيحة نحو الكمال الفنّى المنشود ، وهو ما يعترف به كلُّ ناقدٍ مطلعٍ يقارن بين الآثار الجديدة النابضة بالحياة فى الشعر العربى وبين الجديد من الشعر العالمى فى الاقطار الأخرى . وأمّا الذين لايزالون يبحثون فى القوافى والأوزان ، وفى تفضيل اللفظ على المعنى ، وفى أمثال هذا الهراء ، فمعذورون إذا توانوا عن الاطلاع على الأدبيات العالمية فلم ينصفوا مجهود مواطنيهم ، وهم على أىّ حال من رفقة الكسل الجميل والأحكام الطائشة . ولعلّ روح حافظ تغتبط فى عليائها بهذا التسامى الذي يتدرّج اليه الشعر العربى تَدَرُّجاً حثيثاً فتتقبل من محبّيها هذا الحنانَ والولاءَ والاجلالَ الذى تنبضُ به الصفحاتُ التالية من أقلام الشعراء والنقاد .